قراءة نقدية في ومضة "يتيمة" لفاطمة مراد

عبّاس طمبل، السودان

يتيمة

رعشة من الخوف هزتني، وهو يختم أوراق كفالتي، وابنته تتابعني بنظراتها المملوءة باليتم.

المتأمل لهذه الومضة يجد أن قسوة القلب تسيطر على الشخصية المساعدة في هذه الومضة للكاتبة اللبنانية فاطمة مراد، التي سلطت لنا الضوء على سلوك شخص يوقّع على أوراق كفالة يتيم ولديه ابنة على قيد الحياة، وهو الأمر الذي بدأ غريبًا لم نعتاده في مجتمعنا العربي، وقد تعودنا أن من يكفل يتيمًا في الغالب لم يمن الله عليه بإنجاب الذرية والأبناء، وينتهج هذا السلوك لحاجته الماسة للإحساس بالأبوة المفقودة .

لذلك فقد كان الأولى بهذا المعروف الأقربين، وربما يقودني هذا التصرف لطرح تساؤلٍ قد يبدو مهمًا: لماذا أعترت الرواية رعشات الخوف؟ عندما رأت هذا السلوك الذي يعكس معضلة نعاني منها في مجتمعاتنا العربية بشدة، وهي ظلم ذوي القربى الذي يقع على الأخ، أو الابن، أو البنت، أو الأب، أو الأم أشدة قسوة ومرارة من سواه. وكثيرًا ما نجد أن العلاقات تكون بشكل أرحب وأكثر قبولًا لدي الصديق الغريب من ذوي

القربى، وربما ينتهج الناس هذا السلوك نظرًا لاعتبارات كثيرة وتعقيدات في هذه الحياة الممتلئة بالمشاكل والخلافات الأسرية والعائلية ومنها – الوراثيات وخلافات اختيار الزوجات – أو أي معضلات أخرى قد تؤدي الي نفور الأقرباء من بعضهم بعض، وقد نقلت لنا الراوية هذه اللحظة الفارقة الدالة عن حياة هذه الابنة المحرومة من حنان هذه الأب والتي أضحت كاليتيمة ووالدها على قيد الحياة.

بالنسبة للمدي الزمني لهذه الومضة، فهو قصيرة نسبيًا ما بين لحظة الخوف التي سرت في جسد الرواية ورفضها لسلوك هذا الشخص.

الشخصيات واضحة في السياق السردي وهي رواية رافضة لسلوك هذا الشخص/ الأب المريض نفسيًا، مما يدل على تعرضه لمواقف في حياته جعلته يتصرف بهذا الشكل المعيب في حقه كأب، وابنته يتيمة فاقدة لحنان الأب وهو على قيد الحياة. وهنا نجد أن ثلاث شخصيات شكلت بناء هيكل النص الأساسي وأتت حسب السياق السردي لمقومات هذه الومضة القصصية على خلاف ما تأتي عليه معظم ومضات المجموعة التي تأتي في شخصيتين رئيسية ومساعدة، وكنا قد عقدنا مقارنة بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدًا للتفريق نوعيًا بينهما وذكرنا من قبل أن الفرق بينهما ربما يكون المدي الزمني للنص وتوظيف الشخصيات..

البداية حدثيه وأدخلتنا الراوية في الحدث مباشرة والنهاية في هذه الومضة ربما تكون حدثيه أيضًا. مكان الحدث: قد يكون ملجأ للأيتام حدث فيه هذا الموقف الذي لفت انتباه الرواية، المدي الزمني للنص: هنا الفعل الماضي غير المحدد بمدى معين، أسلوب السرد: الومضة مروية بضمير المتكلم، المنظور السردي في الغالب داخليًا..

العنوان (يتيمة) هنا مثل حالة هذه الطفلة التي تعاني من اليتم ووالدها على قيد الحياة ولكنه ربما لم يكن اختياره غير موفّق من قبل الراوية على أساس اختيار العناوين الرمزية الموحية التي تمثل إحدى عتبات النصوص السردية، وربما إذا كان العنوان (عبث) كان سيمثل الحالة العبثية الذي يعيش فيها معظم الأزواج في مجتمعنا العربي المعاصر، مما ينتج عنه الكثير من المشاكل في حياتهما الزوجية تأتي كتداعيات للاختيارات – الزوج أو الزوجة – غير المتأني والمبني على أساس سليم يؤدي بدوره الي استمرار قطار رحلة حياتهم الزوجية بكل سهولة ويسر بشكل متفاهم، نتيجة لهذه المشاكل المتكررة بينهما التي برزت على السطح وأدت الي شيوع مثل هذه الحالات النفسية السيئة وهي كراهية كل ما هو متعلق بهما، لذلك الأبناء يصبحون ضحايا المشاكل الدائمة التي قد تصل لطرق مسدودة لا رجعة فيها مطلقًا.